التداولية وعلاقتها بالحقول المعرفية الأخرى

the Pragmatics and its relationship with other surrounding fields of knowledge

راضية بوبكري*

جامعة باجي مختار عنابة – الجزائر radiakhefif@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2023-05-24	2023-06-06	2024-01-26

ملخّص: نستعرض في هذا البحث الموسوم بـــ: "التداولية وعلاقتها بالحقول المعرفية الأخرى"، علاقة التداولية بالحقول المعرفية المجاورة لها، كاللسانيات، والفلسفة، والرياضيات، والمنطق، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأدب، وتحليل الخطاب ...وغيرها. يهدف هذا البحث إلى تحديد المرجعيات المعرفية التي أسهمت في تأسيس الحقل التداولي ونشأته وتطوره، ومن ثمّ تحديد ملامحه العامّة ضمن تيّارات وحقول معرفية مختلفة. سنحاول من خلال هذا البحث الإجابة على التساؤلات الآتية: – هل تتداخل التداولية مع حقول معرفية أخرى؟ – ما طبيعة العلاقة بين التداولية والحقول المعرفية الأخرى القريبة منها؟– كيف أسهم انفتاح التداولية على حقول معرفية أخرى في تحديد مفهومها؟ – ماهي حدود التداخل بين التداولية وغيرها من الحقول المعرفية الأخرى؟

كلمات مفتاحيّة: التداولية؛ نظرية أفعال الكلام؛ المقام؛ تحليل الخطاب، الحقول المعرفيّة.

Abstract: In this research, we aim to review: "the Pragmatics and its relationship with other surrounding fields of knowledge , such as linguistics, philosophy, mathematics, logic, psychology, sociology, literature, discourse analysis ... and others. This paper aims to identify the epistemological references that contributed to the establishment and development of the pragmatic thought, and Determining its general features within different fields of knowledge. Through this paper, we will try to answer the following questions: - Does pragmatics interfere with other fields? - What is the nature of the relationship between pragmatics and other fields close to it? And how that

* المؤلف المرسل

openness contributed to building its concepts? - What are the limits of interfering between pragmatics and other knowledgement fields?
Keywords: pragmatics; speech act theory; context; Discourse analysis, knowledgement fields.

-**المقدمة:** تسعى الدراسات الحديثة في مجال النقد والأدب واللسانيات على حد سواء، إلى استثمار المقولات النظرية، والإجراءات المنهجية للعديد من المقاربات والمناهج في تحليل النصوص والخطابات، من أجل تقديم قراءة عميقة وتحليل دقيق شامل، يشمل لغة النص أو الخطاب ويقف عند القيم الجمالية الفنية، والأسلوبية البلاغية التي تتحلى بها هذه اللغة، ليمتد إلى ما هو خارجي سياقي، يرتبط بالأنساق الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية...وغيرها، ويرتبط كذلك بالحالة النفسية للمبدع من جهة والمتلقي من جهة أخرى، كما يرتبط أيضا بالسياقات المختلفة التي تحتضن إنتاج النصوص والخطابات.

لذلك كثيرا ما يلجأ الناقد في مجال الأدب أو اللسانيات وكذلك في مجال تحليل الخطاب إلى الاستعانة بالآليات الإجرائية للكثير من المناهج الحديثة للكشف عن المعاني الخفية، والقيم الفنية والشعورية، والإنسانية المبثوثة في النص أو الخطاب .

وقد تنوّعَتْ هذه المناهج وتعددت عبر حقب التاريخ المختلفة، بين ما يُعرف بالمناهج السيّاقيّة التي تُغيّب نسيج النص، ولا تُعير اهتماما لِلُغته ولا تعتبرها طرفاً أساساً في تشكيل النّص أو الخطاب، بل تهتم بكل ما هو خارجي سياقي يحتضن هذه النصوص والخطابات، ويُسهم في بلورتها وتَشْكيلها من خلال تضافر جملة من المكونات الثقافية، والاجتماعية، والتّاريخيّة، والنّفسيّة، والسّياسيّة، وعلى رأس هذه المناهج المنهج التّاريخي، والمنهج النّفسي، والمنهج الاجتماعي. وبين ما يُعرف بالمناهج النصّانية الشّكلية التي تُغلّب الشّكل على حساب المضمون، وتعتبر النّص بنية مغلقة مكتفية بذاتها ونظاما لسانيا معزولا عن باقي السّياقات الخارجية، ولا تبحث في النّص إلا على القيم الفنّيّة والجماليّة اللّغويّة الشّكليّة.

ومن أهمّ المناهج التي مثّلت هذا التوجّه نذكر: البنيوية وكل ما تفرع عنها من توزيعية، وتوليدية وتحويلية، وغيرها.. وكذلك السّيميائية في بعض جوانبها. ولعل السبب الرّئيسي الذي أدّى إلى هذا الانقسام بين من يرى في اللغة أداة عقلية، ومن يرى فيها أداة اجتماعية، هو التّداخل والتّكامل بين الحقول المعرفية (علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلوم الاتصال، والفلسفة، والمنطق، والسّيميائيات، واللّسانيّات..)، الذي أدّى كما ذكرنا سابقا إلى انقسام الدّرس اللّساني خلال النّصف الثّاني من القرن العشرين إلى اتجاهين كبيرين هما:

اتجاه شكليّ صوريّ يميل إلى رؤية اللغة على أنها ظاهرة عقليّة، ويدرسها على أنّها نظام مستقل، واتّجاه وظيفي تواصلي يرى أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعية فيدرسها على هذا الأساس[1]

وقد هيمن التيار الشكلي من خلال البنيوية والتوليدية، على معظم الدّراسات النّقديّة الأدبيّة واللّسانيّة الغربيّة، والعربيّة على السّواء ردحا من الزّمن، ولا زال مستمرا إلى يومنا هذا على الرغم من أنّه أثبت عجزه وإخفاقه، ولم يستطع الإجابة عن جملة من القضايا والتساؤلات المتعلّقة بتحليل النصوص والخطابات، ...

في حين ظل الاتّجاه الثّاني وضمنه التّداولية مُهملاً في الوطن العربي على الرّغم من أهمية وكثرة البحوث والدراسات التي تراكمت في هذا المجال، تحديدا في المغرب العربي كالجزائر، وتونس، والمغرب، خاصة ما قدّمه كل من أحمد المتوكل، وطه عبد الرحمن، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الباحثين العرب.[2]

سنتطرق في هذا البحث إلى الكشف عن أهمية التداولية كمقاربة لتحليل النصوص والخطابات، ورصد تداخلها مع مجموعة من الحقول المعرفية الأخرى، كتحليل الخطاب، والفلسفة، وعلم الدلالة، ونظرية أفعال الكلام.

-**علاقة التداولية بالحقول المعرفية الأخرى**: تشير الكثير من الدراسات الحديثة إلى تداخل التداولية (pragmatique) مع حقول أخرى، كاللسانيات(La linguistique)، والسيميائية (La sémiotique)، وعلم الاجتماع (La sociologie)، وعليه يبقى مصطلح التداولية فيه نوع من اللبس، والغموض، لأنه مستعمل للإحالة على مجال لساني واسع، ورؤية خاصة للغة...[3] باعتبار أنّ اللغة هي الأداة الفاعلة التي تعبر عن الإنسان وعن حاجاته المادية في حياته اليومية وحاجاته المعنوية والفكرية والعاطفية، وبالتالي فهي ترصد لنا حياة الإنسان داخل المجتمع، ثقافيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا، حيث تعكس اللغة فكر الإنسان وثقافته وشخصيته ومشاعره وعواطفه وسلوكه داخل المجتمع وعلاقته بأفراد هذا المجتمع، فهي وسيلته للتواصل والإقناع، والحجاج.
ولقد أشار فان ديك (V.Djik)، في كتابه "النص بناه ووظائفه" إلى تداخل التداولية مع علوم أخرى من خلال قوله: «...هذا العلم الذي بدأ تطوره على نحو صحيح، منذ السنوات العشرين الأخيرة، له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى، وقد حفزته علوم الفلسفة، واللغة، والأنثروبولوجيا، بل علم النفس، والاجتماع أيضا [4]»

كما أشار إلى ذلك مسعود صحراوي مؤكدا أن: «...التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها: الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملاءمة Théorie de pertinence على الخصوص، ومنها علوم التواصل، ومنها اللسانيات بطبيعة الحال...»[5]، وهي حقول معرفية شكلت إلى حد كبير أهم المرجعيات التداولية، التي أسهمت في نشأتها.

وربما يعود هذا التداخل إلى تنوّع المنابع، والمنطلقات التي أسهمت في تكوين الحقل التداولي، فقد ذكر كل من فندرايش(weinreich)، وماس(mass) في كتابهما.(pragmatik und spriachilucher): أربعة منابع أساسية أدّت إلى تكوين الحقل التداولي وهي: السيميائيات المنطقية المرتبطة بنادي فيينا، وسيميائيات شارل

موريس .(Morris)، ومكوّن العمل (composante travail) ويمثله (ج.كلوس) من ألمانيا الديمقراطية، والذرائعية الأمريكية (pragmatisme) لشارل ساندرس بيرس.[6]

إنّ المتتبّع للمحطّات الكبرى الّتي مرّت بها التّداوليّة، أثناء تشكّلها كحقل معرفي، سيلحظ أهم المسارات الّتي جعلتها تكتسي الكثير من المفاهيم، والمعاني، الجديدة في ميادين شتّى، إلاّ أنّ سمتها الفلسفيّة، العمليّة تبقى هي الغالبة، وتبقى قضية الآثار الّتي تتركها الأفكار، واللغة على الواقع هي المهيمنة، وهي الخاصية التي استمدتها التداولية من الذرائعية، ففي مطلع الثّمانينات عندما بُعثت الذرائعية، من جديد على يد أشهر الفلاسفة الأمريكان تحت اسم (الذّرائعيّة الجديدة) (pragmatisme) نلاحظ أنّها حافظت على مفهومها الأوّل وهو أن :«... قيمة الأفكار المجرّدة تُقاس بمدى انطباقها على الواقع، أو بإمكانيّة تبلورها عمليّاً، وأنّه حتّى حين تكون الأفكار غير عمليّة، فإنّ الواقع التّاريخي والعملي يظلّ مهيمناً عليها، ومن هنا أمكن تسمية هذه الفلسفة، الّتي أصبحت سمة تدل على الثّقافة الأمريكية، الفلسفة العمليّة، وتأسيسا على هذا التّوجّه العملي ترفض الذّرائعيّة الوضع المثالي الّذي تفرضه الفلسفات العقلانيّة والمثاليّة بنزوعها إلى التّنظير...[7].

وسنحاول فيما يلي عرض جملة من المفاهيم المتنوعة للتداولية، انطلاقا من علاقتها وتداخلها مع جملة من العلوم والمناهج والمعارف:

1-**التداولية والفلسفة:** عُرفت التداولية في بداية ظهورها كاتجاه فلسفي أكثر منها مقاربة لسانية لأنها اقترنت بأعمال أكبر الفلاسفة أمثال: (أوستن، ووليم جيمس، وجون ديوي، وبيرس، وفيتجنشتاين، وسيرل، وغيرهم...)، فهي اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت مع (سقراط)، و(أرسطو) .

كما ارتبطت أيضا بمجموعة من التراكمات القديمة في مجال فلسفة اللغة عامة، والفلسفة التحليلية، التي يرى أصحابها أن اللغة هي الأداة المعرفية الوحيدة لمعرفة خبايا الكون،

وأسراره. وربما هذا التصور العام للغة، هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلامية وليدة الفلسفة العادية ذات المنهج الوظيفي التداولي. وهي أحد الفروع الثلاثة للفلسفة التحليلية إضافة إلى الوضعانية المنطقية والظاهراتية اللغوية،...[8]

وتشير فرانسواز أرمينكو (Françoise Armingaud) إلى أن«التداولية كنظام جديد وغزير لا تمتلك جذورا واضحة، إلا أنها تقع في مفترق طرق البحث الفلسفي واللساني، ونشير إلى تعدد الاتجاهات التداولية وهي:_ تداولية البلاغيين الجدد،_ تداولية السيكولوجيين،_ تداولية اللسانيين،_ تداولية المناطقة والفلاسفة، وحاليا هناك تنبأ، بتداولية الأدباء» [9]

كما أشار (طه عبد الرحمن) إلى طابعها الفلسفي وتداخلها مع حقول أخرى عندما قال: «...أعتقد أن التداولية، مقاربة مناسبة للبحث في ميادين المعرفة، التي تتقلها اللغة الطبيعية، ومن هذه الميادين: الميدان الأدبي،...، والميدان الحجاجي الذي استفاد كثيرا من التحليل التداولي، وخاصة نظرية الأفعال الكلامية، والميدان الفلسفي الذي تبادل مع التداوليات الأخذ والعطاء[10].»

وقد تجاوزت التداولية الميادين التي ذكرها (طه عبد الرحمان) إلى الفن، والاقتصاد، والمسرح، وكل ما يتجاوز حدود الأدب الرسمي، كالإشهار، والنكتة، والفلكلور...حتى أن حياتنا اليومية تخضع لهذه النزعة في أكثر نواحيها.

كما أكد (فان ديك) على أن أصول التداولية الفلسفية تمتد إلى أعمال الدراسات اللسانية الحديثة لأن أغلب رواد هذه النظرية هم فلاسفة في الأصل، أي أنها بقيت محافظة على الأصل والطابع الفلسفي الذي يميزها إلى يومنا هذا. حيث اعتبرها أداة عقلية، إلى جانب الكثير من الباحثين لأن"...قدرتنا في التكلم (من وجهة نظره) هي جوهر فلسفة العقل...". إضافة إلى أن قضية استعمال اللغة ليست عملا فرديا، بل عملية اجتماعية تتم من خلال تفاعل الأفراد فيما بينهم[11].

2-**التداولية ونظرية أفعال الكلام** (Téorie des actes de parole) : ذهب الكثير من الدارسين إلى تحديد مفهوم التداولية انطلاقا من علاقتها بنظرية أفعال الكلام، التي شكّلت أهم رافد معرفي تأسست عليه التداولية، حيث تُعتبر نظريّة أفعال الكلام من أهم النّظريات التداولية التي تُعنى بدراسة اللّغة في الاستعمال، وتركّز على الكلام أو الخطاب خاصّة الخطاب الإقناعي، وهو ما تشاركها فيه العديد من النظريات الأخرى التي تنتمي للحقل التداولي مثل: النّظرية الحجاجية، ونظرية الملاءمة، ونظرية المحادثة، ونظرية السياق،...وغيرها.

فمهمة التداولية كما يرى هربرت باركلي (Herbert Barclay)، هي البحث عن شروط أفعال الكلام[12]، وكيفية تحققها، وإنجازها على مستوى اللغة، من خلال الفعل الإنجازي، وعلى مستوى الواقع، من خلال الفعل التأثيري .

فقد حاولت نظرية أفعال الكلام، باعتبارها أهم فروع التداولية وخير ممثل لأفكارها في دراسة اللغة، تطبيق المنحى التداولي الفلسفي على اللغة، وهو المنحى الذي ينطلق من فكرة أنّ الأشياء لا تُعرف إلاّ من آثارها، ونتائجها في الواقع، وآثار اللغة لا تظهر إلا من خلال استعمالها في الواقع.

وهو ما يبرر اهتمام نظرية أفعال الكلام بالفعل(Acte)، وفلسفته باعتباره أهم عنصر، يُسهم في عملية التواصل، والإنجاز، والتأثير لأنّ الفعل بمعنى العمل والإنجاز يعني «...القيام بتغيير ما في العالم...»[13]، وهذا التغيير هو الأثر الذي تتركه اللغة في الإنسان والواقع، ويظهر هذا الأثر من خلال الفعل التأثيري.

فالتداولية تُركز «على الفعل بالقول، (الأفعال الكلامية)، وعلى الفعل مع القول (الحركات والإشارات، التي تصاحب الكلام، وهي الملابسات التي تحف بفعل القول) كما تركز أيضا على الفعل دون القول (التصرفات والسلوكات غير القولية)، إنها في العمق نظرية السلوك البشري بوصفه تواصليا، وعلى النقيض من لسانيات التلفظ، التي

كانت تطوّرا مطّردا نحو الخارج، بالمقارنة مع البنيوية فإنّ التداولية لا تتوقف عند العلاقات التي تربط المخاطبين بالعلامات، بل إنّها تهتم خاصة...بالعلاقة التي تُوحّد المرسل، والمتلقي مادام التّواصل يتّخذ تلك العلاقة واسطة بينهما...»[14]. أي أنها تبحث في علاقة العلامة اللّغوية بمرسلها، ومؤوّلها أو متلقيها. وتبحث أيضا في كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق، بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه[15]

لكن هذا لا يعني أبدا أن التداولية تلغي الطرح البنيوي، أو الوظيفي وإنما هي لم تكتف بهذا الحد من الدراسات اللغوية، واتخذت بنية اللغة، ووظيفتها منطلقا لدراساتها، وأبحاثها.

وهو ما أشار إليه غوفمان في القول السابق، من أن التداولية تدرس الفعل الناتج عن القول، والفعل مع القول والفعل دون القول، أي الأثر الذي يحدثه القول، على مستوى السلوك البشري، والواقع، وتبحث أيضا في العلاقة التي تربط المرسل بالمتلقي .

فظروف التواصل هي التي تحدد بنية اللغة، والشروط التداولية هي التي تحدد الخصائص التركيبية، والصرفية فالجملة ليست تعابير بنية بقدر ما هي فعل كلامي، وموقف إزاء واقع معين[16]

وبالإضافة إلى الفعل الكلامي فإن نظرية أفعال الكلام، اهتمت أيضا بمجموعة أخرى من المفاهيم الفاعلة، التي تأسست عليها التداولية مثل: الاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، والإشارة، والاستدلال، والحجاج، من خلال التركيز على أشكال الإقناع والتأثير والتأكيد،... في اللفظ، والكلام، وشروط تحقق الأفعال الكلامية على مستوى الخطاب والاستعمال. لأنّ هدف التداولية ومن ثمّ نظريّة أفعال الكلام، الكشف

عن الخصائص أو التّقنيات والإجراءات العمليّة للحدث اللّغوي، المتمثلة في الإيحاء والافتراض المسبق، والإقناع وربطها بالقوى الخارجية في واقع المتكلم والمتلقي معاً.[17]

وعليه تسعى التداولية مُمثلة في نظرية أفعال الكلام، إلى ربط اللغة بواقع الإنسان ودراستها في الاستعمال اليومي واعتبارها أداة فاعلة في المجتمع، لأن الحياة الاجتماعية هي نتاج العمليات التواصلية، التي تعني تبادل المعلومات بواسطة اللغة والكلام، من خلال تنظيمات مختلفة كتنظيم المنافع من (خلال الاقتصاد) وتنظيم الأشخاص عبر الطقوس على شاكلة الزواج...وغيره[18].

وقد استمدت التداولية أهم أفكارها من رافدين أساسيين «رافد معرفي كما تُقدّمه بعض المباحث في علم النفس المعرفي وقد يضم الاعتقادات، والنوايا، والاستدلالات، وهي أي الاستدلالات، مفهوم تداولي ينطلق من الأعراف الاجتماعية يبحث في معاني الملفوظات وكيفية الاتفاق على معنى ملفوظ معين بين المرسل والمتلقي وكيفية التواضع على معنى معين. لأنّ المعنى كقيمة للملفوظ لا تتحكم فيه اللغة بقدر ما يتحكم فيه مستعملوها. لذلك فالتداولية باهتمامها بالجانب الاستعمالي للغة فهي لا تلغي الجانب اللغوي من تراكيب ودلالة وغيره وإنما تنطلق من اللغة لدراسة الملفوظات في الاستعمال ... والرافد التواصلي: ويضم أغراض المتكلمين واهتماماتهم، ورغباتهم»[19]

يظهر جليا أن التداولية تهتم بالشكل والمضمون، فاللغة كما أنها تؤثر ببنيتها وشكلها الخارجي من ألفاظ، وتعابير، وتشابيه، واستعارات، وغيرها فهي أيضا تؤثر بمضامينها وأفكارها وما تحمله من شحنات دلالية، وفكرية،...أي أن التّداولية تدرس الاتّصال اللّغوي في السّياق وهذا التّعريف هو ما يسمح بدراسة أثر السياق في بنية الخطاب، ومرجع رموزه اللغوية ومعناه كما يقصد المرسل.[20]

وعلية يمكن أن نضيف رافدا ثالثا، وهو الرافد الحجاجي الإقناعي الذي يهتم بكل ما من شأنه أن يؤثر في المتلقي، ويجعل اللغة ببعديها التواصلي والتداولي أداة للفعل

في اللغة ذاتها، أي على مستوى الخطاب أو النص وأداة للفعل على مستوى الواقع، ويُظهر هذا الرافد علاقة المرسل بالمتلقي وقدرة المتلقي على التفاعل مع المرسل، وقدرته على التأويل ضمن سياقات متعددة.

وقد تحدث معجم اللسانيات لـــ ديبوا (jean Dubois) عن هذه الروافد وكيف أسهمت في تحديد المفهوم التداولي أو المظهر التداولي والذي «يتجلّى في خصائص استعمال الخطاب أي (الحوافز النفسيّة للمتكلّمين، وردود أفعال المخاطبين، أو بالحالة الذّهنية للمتكلم، التي تسبق ظهور القصيدة أو الحالة الذهنية للمتلقي، لاحقا والأنماط المجتمعيّة للخطاب وأهداف الخطاب، الخ) مقابل مظهره التركيبي (الخصائص الشكلية للأبنية اللسانيّة)، والدّلالي (العلاقات بين الوحدات اللسانيّة والعالم الخارجي»[21]

ولعل هذا المفهوم الذي قدمه معجم اللسانيات يحيلنا على الطرح اللساني الجديد الذي قدمته التداولية لدراسة اللغة، محاولة استدراك مواطن النقص وجوانب القصور في الدراسات اللسانيّة البنيوية، التي أهملت الجانب الاتصالي التّأثيري للّغة .

فلقد ركزت التداولية على ما أهملته اللسانيّات التي لم تر في اللغة سوى جملة من المعايير والقوالب التي تخدم علم المعاني والتراكيب، في حين راحت التداولية معتمدة على نزعتها العملية المرتبطة بالمنفعة والتبادل الإيجابي، تبحث في الجانب الاتصالي وعلاقة العلامة بمن يستعملها[22]

قدم لنا معجم اللسانيات لديبوا، انطلاقا من تعريفه للتداولية، ثلاثة مستويات لدراسة الخطاب وهي: المستوى الدلالي، والمستوى التركيبي، والمستوى التداولي الذي ظل مُستبعدا من الدراسات اللسانية التي ركّزت أكثر على القواعد الشكلية، التي تتميّز عن الاستعمال اليومي«...لأنّ هذا الجانب لا يخضع إلى المنهجيّة الصارمة، وبالتالي لا يؤسس موضوعا للدرس اللساني...»[23] ، وهذه النظرة للغة تحد من وظيفتها وتجعلها حبيسة مظهرها التركيبي والدلالي، و إقصاء صفتها التواصلية والتبادلية، ونحن نعلم أنّ

اللغة وسيلة تواصل وتفاهم لا يمكن أن «... تنعزل عن استخدامها وتنحصر في علمي النّحو والمعاني، بل إنّ الاتّصال يلعب دورا فاعلا إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة...»[24] وجوهرها القائم على أساس جدٌّ مهم وفعّال على جميع المستويات المعرفية، والرسميّة، والعادية اليوميّة، من تواصل، وحيوية، وخلق، وإبداع، وتفاهم...وهو تصور جديد للغة «...جاء إن شئنا، ليحُل محل النظرية التقليدية، فهو يضع في مركز الصدارة قوة الأدلة، والطابع النشط للغة، (كونها تحيل على العالم بإظهار نشاطها الشخصي التلفظي)، وطابعها التفاعلي وصلتها الأساس بإطار يسمح بتأويل الملفوظات... »[25]، لأنّ الكلام محكوم بجملة من القوانين التي تصنعها اللغة والخطاب لحظة إنتاجه.

وفي طبعة جديدة للمعجم نفسه، يضيف (ديبوا) أنّه بعد دراسة (أوستين) لأفعال الكلام، وكفاءاته، امتدت التداولية إلى أشكال الإقناع، والتّأكيد في اللفظ والكلام لتشمل شروط التحقق، وتحليل الخطاب الإقناعي...[26]، لأن الإقناع هو قصد المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي[27]

ويرى قريماس ((Greimas وكورتاس ((courtes في معجمهما Dictionnaire raisonné de la théorie du langage. أنّ الفرق بين البعد المعرفي، والبعد التداولي للخطاب كالفرق بين الأشياء المكتنزة والأشياء المستهلكة، ويكون الحد بين الفعل المعرفي والفعل التداولي، في مكان ما بين الكفاءة والأداء، ويعتبران التداولية واتجاهها الأمريكي، تهدف بالخصوص إلى التركيز على شروط تحقق الخطاب، مثل الطريقة التي يستطيع بها متحادثان التأثير بعضهما في بعض...[28]

يُفرّق هذان الباحثان بين البعد المعرفي والبعد التداولي للخطاب، بحيث يصبح البعد التداولي ضروريا ومُكمّلا للبعد المعرفي الذي يظلّ كامنا ومكتنزا، ولا يعرف الحياة إلا بالممارسة والأداء، على مستوى الواقع، وهو ما يحققه البعد التداولي، الذي يهتم أكثر « بالعلاقة التي تجمع بين المرسل والمتلقي، والتي تُبَثّ عبر وسائل الاتصال،

وحسب هذا البعد يستعمل المرسل عدّة طرائق للإقناع والتأثير، والإعجاب، والإخبار، والقيادة، والتفاوض، والسيطرة، فلا مضمون الرّسالة، ولا الخطاب، ولا حتى بنية النّظام الاتصالي هي الأهم بل نوعية العلاقة الاجتماعية التي تُبَثّ وتوضح بفضل الاتصال...»[29]. فالتداولية تدرس اللغة بوصفها ظاهرة لسانية خطابية، واجتماعية، تواصلية، ذات أهداف وغايات تأثيرية، وإقناعية حجاجية.

3-**التداولية ونظرية التلفظ:** التلفظ (énonciation) هو «...الفعل الذاتي في استعمال اللّغة، إنّه فعل حيويّ في إنتاج نصّ ما، كمقابلٍ للملفوظ باعتباره الموضوع اللغوي المنجز، والمتعلق والمستقلّ عن الذّات التي أنجزته، وهكذا يُتيح التلفّظ دراسة الكلام ضمن مركز نظريّة التّواصل ووظائف اللّغة، ويرى بنفنست (Benveniste) أن التلفّظ هو موضوع الدّراسة وليس الملفوظ[30]»

وقد حاولت بعض الدراسات في مجال نظرية التلفّظ، والخطاب بصفة عامّة الإدلاء بدلوها في هذا المجال خاصّة أن التداوليّة، تعتمد على هذه النظرية التي تولي عملية التلفظ أهمية كبرى، باعتبار أن وظيفة اللغة الأولى هي التواصل، والتفاعل من خلال عملية الكلام والحوار، فالتداولية من هذه الوجهة تنطلق في دراستها للمواضيع من «...فكرة جريان الكلام على الألسن، أي من التلفّظ ذاته كعملية خاصة بالفرد، والتي تتجلى في ممارسة اللغة، بهدف إيصال الرسالة، أو الخطاب إلى المُخاطَب، والتأثير عليه ضمن عنصر التّفاعليّة...فالتّلفظ إذن أساس التّداوليّة في الشّكل الظّاهري، إذ بدون الأولى لا تتحدّد الثّانية كعملية وكلتا العمليّتين تخضعان إلى عامل السّياق[31]»

هناك من اعتبر أن التداوليّة لسانيّات الكلام مقابل لسانيّات اللّغة، أي أنها تنطلق من اللّغة كبنية إلى دراسة الكلام، لاهتمامها بدراسة استعمال اللّغة مقابل دراسة نظام اللغة وكل ما ينجرّ على ذلك من تأثيرات في التواصل وفي اللغة نفسها. وتقوم اللسانيات

التداولية على فلسفة اللغة وتداولية أفعال الكلام وتحليل المحادثات وتحليل الفروق الحضاريّة والتّفاعلات اللّغويّة من منظور العلوم الاجتماعيّة[32]

وهناك من يجعل التداوليّة ضمن اللّسانيات ولا يُفرّق بينهما فهما متطابقان مثل: فرانسوا لاترافارس (F Latraverse) الذي أشار إلى أنها الدراسة أو التخصص «... الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل[33] لكنه اعترف فيما بعد بأنّها تتموقع خارج اللّسانيات[34]

ولاهتمامها بلسانيات الكلام، يمكننا القول أن التداولية هي امتـــداد للسانيات التلفـــظ ، حيث أصبحت تميز بين الملفوظ الذي يُقصد به ما يُقال، والملفوظ الذي يُعدّ فعلاً للقول ، أي بين الدّلالة وتأويلاتها المختلفة والآثار الواقعية للغة [35] وهو ما يعني أن الدراسة التداولية تبحث عن «... المعنى الذي يقصده المرسِل، وقُدرَته على إفهام المرسَل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله...»[36] ، أي تتجاوز الدلالة اللغوية المباشرة، إلى المعاني الضمنية والمضمرة والمتعددة ، والبحث عنها عبر الاستدلال وتأويل هذه الدلالة من قبل المتلقي انطلاقا من السّياقات المختلفة التي أسهمت في إنتاج الخطاب، من جهة ومقامه المحدّد المخصوص من جهة أخرى .

ممّا سبق ذكره يمكنا التأكيد على أنّ الملفوظات هي أساس الاستعمال اللغوي، وليست الجملة لأنّه «... لم يحصل أن سمعنا جزءا من اللغة لم ينتجه متكلّم معين، لجمهور ما في مناسبة معينة، كما أنّ كثيرا من الملفوظات، لا تنتسب إلى نموذج الجملة، فقد تكون الملفوظات مكوّنة من عبارة مثل: "فنجان من القهوة" وتؤدي معني: أعطني فنجان قهوة، أو من كلمة مثل"آسف" أو من وحدات، لا تُشكّل أجزاء من الجملة مثل: "آه مرحبا"...[37] لذلك توصف التداولية بأنها لسانيّات الكلام مقابل لسانيّات الجملة.

4- التداولية وتحليل الخطاب: عُنيت الدراسات التداولية من ناحية أطرها اللغوية، بأكثر من جانب من جوانب الخطاب: «...يمكن تصنيف هذه الجوانب إلى ثلاثة

مسارات...هي الأفعال الكلامية، والقصد أو المعنى التداولي، والإشاريات، ولا يتم تحديد هذه الجوانب بدقة، إلا في الخطاب المستعمل...» [38]، الذي يستهدف مُتلقيا معينا قصد التأثير فيه وإقناعه، أو الخطاب الذي يسعى إلى التّغيير في السّلوك البشريّ، أو الفعل بالقول كما أشار إلى ذلك رائد نظرية أفعال الكلام أوستين.

لذلك نعتقد أنّ «ميدان استعمال اللّغة هو الخطاب وأنه لا يتبلور الاستعمال إلا من خلال عملية قوليّة تُسمّى عملية التلفظ بالخطاب، فالتلفظ هو النشاط الرئيس الذي يمنح استعمال اللغة طابعها التداولي، بوصفه نقطة التّحوّل بالممارسة الفعليّة لها، مما يُبلور عناصر السّياق في الخطاب: من مُرسِل ومُرسَل إليه، كما أنه يتحدّد به القصد والهدف.» [39]، لكن هذا لا يعني أنّ التّداوليّة تقف عند حدّ التّلفّظ بالكلمات، بل تتجاوز ذلك إلى الفعل في الواقع بهذه الكلمات والبحث عن الكيّفيّة الّتي تفعل بها الكلمات فعلها في المتلقّي، والكيفيّة الّتي يتلقّى بها المتلقّي هذه الكلمات، ومدى تأثيرها فيه.

وتتداخل التداولية أيضا مع تحليل الخطاب (L'analyse du discours) وتتقاطع معه في «الاهتمام بتحليل الحوار، ويقتسمان عدداً من المفهومات الفلسفية واللغوية كالطريقة التي تُوزّع بها المعلومات، من جمل ونصوص والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية..» [40]، أو الاستلزام الحواري كما يسميه غرايس(Gric) ، الذي يتأسّس على المعارف المشتركة بين المخاطب والمتلقي، ولقد أشار جورج لايكوف George) (Lakoff ومارك جونسون (.Mark Johnson) إلى أنّه «عندما لا يشترك النّاس الّذين يتحاورون نفس الثّقافة ونفس المعرفة، ونفس القيم، ونفس المسلّمات، فإن الفهم المتبادل يكون صعبا»[41]

ومن ثمّ فإن محاولة الإقناع والحجاج من أجل الاستمالة، وتغيير المواقف والرّؤى والمفاهيم والاعتقادات، والسّلوكات وحتى التّواصل، تصبح صعبة في غياب العلاقات الحوارية، والمعارف المشتركة بين المخاطِب والمتلقي. والعلاقات الحوارية قد

تظهر عبر الحوار المتبادل بين المخاطِب والمتلقي والحوار المباشر في النّدوات، والحصص التلفزيونية، والمناظرات، واللقاءات الصحفية، وقد تظهر في بعض الخطابات بطريقة غير مباشرة، حيث لا يتحاور المخاطِب مباشرة مع المتلقي وإنما يستحضره ويحاوره ويُناقشه من خلال بعض الضّمائر التي تدلّ عليه وبعض الأفعال الكلامية خاصة الإنجازية منها، لأن الحوار لا يتجاوز لغة الخطاب .

5 – التّداوليّة والمقام التّخاطبي: وقد حُدّدت التداولية أيضا انطلاقا من فكرة المقام، لِمَا حَظِيت به هذه الفكرة من اهتمام لدورها في تحديد الظّروف الّتي تحكم التّواصل في وضع معين، فالتّداوليّة «...لا تدرس" البنية اللّغوية" ذاتها، ولكن تدرس اللّغة عند استعمالها في الطبقات المقاميّة المختلفة، باعتبارها" كلاماً محدداً" صادرا من "متكلّم محدّد"، وموجهاً إلى "مخاطب محدد" في مقام تواصلي محدد لتحقيق "غرض تواصلي محدّد"...» [42]، ممّا يُبرز دَور القصد والنيّة في العمليّة التواصليّة بالنّسبة للتّداوليّة .

يستحضر هذا التّعريف عنصرا مهمّاً في الدّراسات التّداولية وهو المقام، أو سياق الموقف التّواصلي الذي يُشكّل نقطة الارتكاز في عمليّة التّأويل التي يقوم بها المتلقي، وضرورة مراعاة المرسِل للمقام الذي يَرِد فيه الكلام، والتداولية من هذه الوجهة تهتم بدراسة اللغة في الاستعمال اليومي.

وذهب بعض الدارسين إلى تحديد مفهوم التداولية انطلاقا من تركيزهم على المقام، وكذلك السياق وأشاروا إلى أنّ...مهمة التداولية، أن تبحث في الشروط التي ينبغي أن تتوفر في فعل كلامي لكي يكون مناسبا لسياق خاص...[43] بالإضافة إلى العناصر سابقة الذكر، تركّز الدّراسات التّداولية اهتمامها على السياق لدوره الفاعل في الاستدلال والتأويل، ولقد أشار لودفيغ فيتجنشتاين (Wittgenstein) إلى أهميته في عملية الفهم والتلقي، ومدى نجاح الأفعال الانجازية وتحقيقها التأثير والإقناع المطلوب من خلال

اعتباره أن "المعنى هو الاستعمال"[44]. لأننا في التحليل التداولي للخطابات والنصوص نبحث عن المعاني المتعددة والضمنية المضمرة.

6- التداولية وعلم الدلالة: تتداخل التّداوليّة مع علم الدّلالة(La sémantique)، الّذي تتقاطع معه في دراسة المعنى أو التّفاعل بين المعنى والاستعمال. فبحكم علاقتها بالحقل الدّلالي وتوجّهها للبحث في الدّلالة وتعدّدها، وتعدّد طرق تأويلها عرفت التّداولية تداخلا مع علم الدّلالة، أنتج عدة تعريفات للتّداوليّة تؤكّد جُلّها على أنّ التّداوليّة «...جزء من السّيميائية الّتي تُعالج العلاقة بين العلامات ومُستعملي هذه العلامات، فهي تُعنى بدراسة استعمال اللّغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية، فهي إذن تهتمّ بالمعنى كالدّلالة وبعض الأشكال اللّسانية التي لا يتحدّد معناها إلاّ من خلال استعمالها[45]»

تدرس التداولية اللغة من منطلق تواصلي واجتماعي، وخطابي بحيث «...يحيل لفظ التّداوليّة على مُكوّن من مُكوّنات اللّغة، إلى جانب المكوّن الدّلالي، والمكوّن التركيبي، وهذا المكون التداولي، انبثق عن التقسيم الثّلاثي المُدشّن من قبل الفيلسوف الأمريكي ش. موريس (Charles Maurice) في سنة (1938) الذي ميّز مجالات ثلاثة في الإحاطة بأيّة لغة سواء أكان صوريا أو طبيعيا...»[46]، وهذه المجالات هي: الدلالة، والتركيب، والتداولية. حيث تهدف التداولية «...اعتمادا على المعلومات النّحوية، والدّلاليّة المتّصلة بالجملة، والمعلومات حول مقام إلقائها إلى ضبط جملة التّأويلات التي تحدّد الدّلالة الكاملة للقول في مقامه المعين المخصوص...»[47]، أي أنها تدرس«... العلاقة بين النظام اللغوي واستعماله المقامي لحصر التأويلات الكفيلة بتحديد الدلالة التّامة للقول في مقامه المعين المخصوص.[48]

وهو ما يجعلها امتدادا «...للدّراسة الدّلالية، وتتجاوزها إلى الاهتمام بنوايا المتكلم، ومقاصده والاعتداد بالظّروف المحيطة بإنتاج النص وتلقيه... » [49]حيث يُصنّف علم

الدّلالة ضمن القدرة أو (معرفة اللغة)، والتّداوليّة ضمن الأداء والانجاز (استعمال اللغة)، «...ومن هنا تُكمّل التّداولية الدّراسة الدّلاليّة باعتبار أنّ علم الدّلالة يُحدّد شروط المعنى وحقيقته...وتقوم التّداوليّة بدراسة هذه الشّروط حين تربط المعنى بالاستخدام، وتحدد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه...وهي أوّل نقطة تنفصل فيها التّداولية عن علم الدّلالة، لأنّ استخدام المعنى مختلف عن المعنى.[50]

ويقوم علم الدّلالة بتحليل معاني الكلمات والجمل بالنظر إلى واقعها، واستعمالاتها الاجتماعية وهو ما قصرت اللسانيات على تحقيقه، ونجحت التداولية فيه «...فعلم الدلالة التوليدي سيُطَور تحديدا، بفضل تيارين رئيسين كانا في الأصل خارجين عنه، فقد أثبتت وظائفية أندريه مارتينيه (Martinet) بين السنوات 1960، و1970، أنّ اللغة يجب أن تُدرس انطلاقا من حقيقة استعمالها، وذلك ما نتبيّنه من قوله:" اللغة تتغير لأنّها تشتغل" أي أنّنا نحتاج إليها بغية التواصل...»[51]. وهي القضية التي أثارتها التداولية، من خلال تركيزها على دراسة المعنى في الاستعمال، حيث تجاوزت فيها التداولية كلاّ من اللّسانيات، والدّلالة. إذ «...تعنى الدّلالة بتفسير الملفوظات وفق شروطها وقيودها النظامية، وتحدّد المعاني الحرفية لها، مع إشارةٍ أدنى إلى مقامها خدمة للنّظام اللّغوي لا لمقاصد المتكلّمين، وتصف الكلمات ومعاني الجمل، كما تربطها بالصدق أو الكذب أحيانا...»[52]. أماّ التّداوليّة فتهتمّ «... بما وراء ذلك حيث تربط مقاصد المتكلم أو العبارة... (إبلاغ التحذير مثلا)، بالشّروط التي تسمح بنجاحها دون أن تهتمّ بصدقها أو كذبها، بل بنجاحها أو إخفاقها، وتربط بين النص كاملا وسياق أدائه، وتُكوّن حينها نوعين من المعاني، معنى يُستقى من الجمل فيما بينها (مجال الدلالة) ومعنى يُستقى من الوحدة الكلاميّة كاملةً (مجال التداولية)...»[53]. ولقد تحدّث أوستين (Austin) عن الدّلالة وحاول تقديم العديد من التفسيرات لهذه القضية حيث

جعل الدّلالة تجمع بين المعنى والمرجع، ثم بعد ذلك ميز بين المعنى والمرجع داخل الدلالة ذاتها.

7-**التداولية والأدب:** في ضوء تطور الدراسات التداولية وولوجها عالم الأدب والنصوص الأدبية «... تجدد التحليل النصي بشكل معمق حيث لم يعد مقبولا البحث فقط عما "أراد الكاتب قوله" ولا إنجاز تحليل مُستفرغ لنص من النصوص أو إيراد المعنى الذي أفاده النص...وإنما أصبح التحليل الأدبي يهتم بالعناصر الإشارية والروابط وحالات التبادل السنني والتصرفات في الإحالة الداخلية (داخل النص) والخارجية (خارج النص) والمشترك الدلالي...[54] أي أن تحليل النصوص تجاوز النظرة التي تجعل من الأدب مجرد وسيلة للإمتاع والمؤانسة إلى كونه أداة للفعل والتأثير في السلوك البشري وفي الواقع، بمضامينه ومحتوياته المتنوعة. ومن هنا طُرحت فكرة وظائفية الأدب عند مجموعة من الباحثين في مجال التداولية الأدبية، خاصة مع فان ديك (Van Dick) وجوناتان كولر (Jonathan Culler)[55]

وعليه أصبحت التداولية اليوم مقاربة من مقاربات النص الأدبي، رغم اصطدامها بعدة معضلات صعّبت من استثمارها في دراسة الخطاب الأدبي والولوج إلى عوالمه المتنوعة. ويمكن أن نلخص أهم عقبة في السؤال الآتي: هل نعامل الآثار الأدبية بوصفها جنسا من الملفوظات كسائر الأجناس، أو إنّنا نضعها على حدة، والحال أنّها ملفوظات ليست كسائر الملفوظات من جهة وهي من جهة أخرى ليست ملفوظات خارجة عن قوانين اللغة، نظرا لنزعتها النفسية والشكلية[56].غير أن الكتابة الأدبية كغيرها من أنواع الخطابات والنصوص غرضها تواصلي تفاعلي وعليه فهي تلتحق بإطار التواصل، ومن ثم بإطار التلفظ المشترك، وفي الواقع فالقراءة تلفّظ مكمّل حسب الرسم النظري الذي تضعه التداولية للدّلالة[57]

فقد عُني فان ديك في كتابه "النص والسياق" بتطوير تداولية أفعال الكلام عن طريق توجيهها من مجال الجملة عند مؤسسها جون أوستين...إلى طريق النص، وكان من أهم ما صنعه في ذلك الكتاب تحليله ما أسماه "أفعال الكلام الكبرى[58]

كما أكّد فان ديك، أنّ استعمال اللغة ليس معناه إنجاز فعل خاص، وإنّما هو جزء من التفاعل الاجتماعي أي أنّه ليس عملاً فردياً، بل هو عملية يتم من خلالها تفاعل الأفراد فيما بينهم داخل المؤسسة الاجتماعية لتلبية احتياجاتهم، مما يجعل الطابع العملي الوظيفي للغة مهيمناً.

ومن هنا يربط التداولية بالأفعال الكلامية، لأنّها تمثل الجزء الناطق الحيوي من اللغة، وهذه الأفعال الكلامية تفتح مجالاً واسعا للتأويلات السيميائية، لأنّه يأخذ بعين الاعتبار الأبعاد التداولية والدلالية للنصّ. وهذا ما تحدث عنه جاكوبي رسل (Jacoby Russell)عندما أشار إلى أنّ «...نظريات النص والتّأويل تنظر للمعنى بوصفه...ناتج اشتباك بين نص وقارئ أو مجموعة من القراء.[59]

كما تحدث فان ديك عن أهمية السياق مشيرا أنه من أولويات التداولية «...أن تنزل هذه الأفعال في موقف معين، وأن تصيغ الشروط التي تنصب على أي العبارات، لتكون ناجحة، في أي موقف من المواقف، أعني أنّنا نحتاج إلى وصف مجرّد لهذا الموقف، لفعل كلامي متداخل الإنجاز، واللفظ التقني الذي نستخدمه في هذا الموقف، هو مصطلح السّياق.[60]

فالأدب عنده مجموعة من الممارسات النصية، يتحوّل الخطاب فيها إلى فعل كلامي أو خطابي، هو جوهر عمليات التلقي التي تتبني أساسا على التفاعل والتواصل. «...هذه العمليات التواصلية الأدبية تقع في عدة سياقات تداولية، ومعرفية، وسوسيو ثقافية، وهذه السياقات هي التي تحدد الممارسات النصية وتتحدد بواسطتها.[61]

فقد ربط فان ديك النص كفعل كلامي، بمختلف السياقات، والمقامات، والمؤسسات، والأعراف والقيم، التي تحدد لنا المعنى من هذا النص، وأغراضه ومقاصده التي تختلف باختلاف هذه المعطيات .

8- **التداولية والفن:** وفيما يخص الفن والإبداع عامة، فبإمكانهما أن يحققا تواصلا من نوع خاص، فقد أشار كروتشه (Krochh) إلى «أنّ ثمة تواصلا (communication) يتحقق بيننا وبين الفنانين، عبر تلك الأعمال الفنية التي عبرّوا فيها بأنفسهم، صحيح أنّ الفنان لم يعمل ولم ينفعل، اللهم إلاّ من أجل تلك الصورة الفنية التي أبرزها إلى الخارج الموضوعي، على نحو غنائي (lyrique) والمنحدرة من اضطرابه الانفعالي، ولكن من المؤكد مع ذلك، أنّ هذه الصورة (image) التي اغتبط الفنان بنجاحه في إبداعها، هي في الوقت نفسه"صورة" يغتبط الآخرون لرؤيتها، وكأنّ انفعالات الفنان قد أصبحت انفعالاتهم أو كأنّ غبطة الإبداع قد استحالت إلى غبطة تذوّق... »[62]، كما تحدث كروتشه أيضا عن نفعية الفن، وتداوليته عندما قال: «...وليس النشاط الإبداعي تأكيدا للطابع الذاتي للفنان، بل يدلّ على اتصال أو تواصل (communication/ contact) بين الفنان والآخرين من الفنانين أو المتذوقين، وهذه الصلة تجمع بين البشر جميعا، وهي بمثابة نوع من المشاركة الذوقية للأثر المبدع أو المصنّف الفني.[63]

فعملية التواصل عند كروتشه تقوم على التفاعل والانفعال الحاصل بين المتلقي والموضوع الجمالي، ومن ثم فإنّ الإبداع عنده يحمل طابعا نفعيا يُقصد من ورائه تحقيق التواصل، سواء أكان هذا التواصل بين الفنان وآخرين أم بين الموضوع والمتلقين.

9-التداولية واللسانيات الاجتماعية: تتفق اللسانيات الاجتماعية (La sociolinguistique) مع التداولية في«تبيين العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السّياق غير اللّغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوّعها... »[64] لأن التداولية لا

تقف عند حد الوصف أو البحث عن المعاني المباشرة أو المضمرة والضمنية للغة، وإنما تتجاوز ذلك إلى البحث في أحوال المخاطب والمتلقي، والسياق والمقام والمعاني التي تتولد نتيجة استعمالنا للغة في سياقات ومقامات مختلفة، مما يجعلنا نلجأ إلى الاستدلال والتأويل حتى نتوصل للمعاني التي يقصدها المخاطب. ومما لاشك فيه فإن كل العناصر المسهمة في إنتاج النصوص والخطابات –سواء أكانت لغوية نصّانية، تتعلق باللغة في حد ذاتها من أصوات وتراكيب وصرف ونحو، وأفعال كلامية وإنجازية، وافتراضات مسبقة ومضمرات للقول وحجاج وعلاقات خطابية ... أم كانت سياقية خارجة عن النص تتعلق بالجوانب النفسية والثقافية والسياسية والدينية العقدية والاقتصادية والاجتماعية، أو مقامية تتعلق بالموقف التخاطبي أو التواصلي كالمخاطب والمتلقي– فإن كل هذه العناصر نستحضرها لحظة القراءة والتحليل والنقد، والبحث عن المعاني والأفكار والموضوعات والقيم المقصودة وغير المقصودة داخل النصوص والخطابات.

وتتقاطع التداولية أيضا مع اللسانيات النفسية (Psycholinguistique)، في التركيز على قدرات المشاركين في الحديث (المخاطب والمتلقي)، وأثرها في أدائهم مثل: الحالة النفسية والاستعداد النفسي، وقوة الشخصية والبديهة والقدرة على الانتباه والتركيز والاستجابة والذاكرة الشخصية والكاريزما، وكلّها تساعد على التأثير في المتلقي وفهمه للخطاب وتحديده لمقاصد المخاطب.

خاتمة: وجملة قولنا:

–عرفت التداولية تداخلا وانفتاحا على حقول معرفية كثيرة، تشترك معها في دراسة وتحليل الخطابات، وتبحث عن علاقة اللغة بالمتكلم، والمجتمع، والمقام العام للتخاطب، ومن أهم الحقول المعرفية التي أثرت في نشأة الفكر التداولي نذكر الفلسفة، وتحليل الخطاب، وعلم الدلالة، ونظرية التلفظ.

–للتداولية علاقة قوية بالفلسفة، لاسيما وأن روادها الأوائل هم فلاسفة، كما أن نظرية أفعال الكلام ولدت من رحم الفلسفة التحليلية، ومن ثم يمكن اعتبار التداولية مقاربة فلسفية تبحث في علاقة الإنسان باللغة والواقع .

–تهتم التداولية من منطلق نظرية الأفعال الكلامية بدراسة مختلف استعمالات اللغة، وتبحث في العلاقة بين المتكلم، والمتلقي وكل ما يترتب عن ذلك من علاقات تتدرج ضمن التواصل، مثل: (المقام، والسياق، والأفعال الكلامية، ومقاصد المتكلم، وأغراض الكلام الضمني في الحديث..) فهي «...لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية...»[65] وهذا الحوار والتبليغ يستدعي دائما متكلما ومتلقيا، والعلاقة بينهما هي علاقة تواصل واتصال، يراعي كل طرف فيها اهتمامات الطرف الآخر، ويظهر جليا من خلال مفهوم التواصل، أنّ موضوع التداولية هو الإنسان نفسه، وهو يباشر أدواره الاجتماعية، لذلك يمكن أن نجمل ما قلناه في أنّ: «...التداولية أن تكون في تواصل مع الغير...»[66]. والميادين المفضلة لدى التداولية هي: الخطابات الإعلامية، والإشهار، والخطابات السياسية، ووسائل الإعلام....

تلتقي التداولية مع نظرية التلفظ في الاهتمام بالكلام واستعمال اللغة، لذلك توصف بأنها «...علم جديد للتواصل، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره[67]

–تتدرج التداولية ضمن مقاربات تحليل الخطاب التي تجاوزت الاهتمام باللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، إلى البحث في علاقة اللغة بمستعمليها، وواقعها الخارجي من أنساق وسياقات غير لغوية. وتستعين التداولية في تحليل الخطابات ومقاربتها ببعض الآليات الخاصة بها كالأفعال الكلامية، التي ينتجها المخاطب، والمقاصد والنوايا. وتبحث في الشروط الملائمة لنجاح هذه الأفعال، أو شروط نجاح الخطاب ضمن سياق معيّن مع مراعاة مدى استجابة المتلقين لها من خلال الأثر الذي تتركه فيهم، والطرق الكفيلة

بتحقيق الإقناع. لأن الاستعمال هو وحده الكفيل بتحديد المعاني المباشرة، وغير المباشرة التي يصبو إليها المتكلم. حيث تتدرج الأفعال ضمن الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا باستعمالها، وتوظيفها في سياقات متنوعة.

-يعتبر المقام أو سياق الموقف، من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداولية. وتعتمده أساسا لتحديد وتوظيف المعاني اللغوية في الاستعمالات الفعلية، والممارسات اليومية، وتأويلها من طرف المتلقي، للوصول إلى أكثر ما يريد المرسل قوله بتلفظه بهذه العبارة أو تلك.

المصادر والمراجع:

1-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس اللساني العربي القديم، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

2-ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، 2005.

3-شكري المبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، ط1، مسكلياني للنشر، تونس، ديسمبر 2008.

4- طه عبد الرحمن، تكامل المعارف، اللسانيات والمنطق، مجلة دراسات سيميائية، لسانية، أدبية، ع2، المغرب، 1987-1988.

5-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 2004.

6-علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى السياق، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000.

7-محمد عزيز نظمي سالم، قراءات في علم الجمال حول (الاستيطيقا، النظرية والتطبيق) نظريات الإبداع الفني الجزء الخامس مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996.

8-محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002.

9- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت، 1985.

10-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005

11-ميجان الرويلي، وسعد البازعي، دليل النّاقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2000

12-نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، جدار للكتاب العالمي، عمان الأردن،2009.

الكتب المترجمة :

13-إلرود إيش، وآخرون، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1997،1996..

14-بول ريكور، من النص إلى الفعل-أبحاث التأويل-، ترجمة: محمد برادة، حسان بورقيبة، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001

15-جاكوبي رسل، نهاية اليوتوبيا، السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة، ترجمة: فاروق عبد القادر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (صفر 1422 - ماي 2001).

16-الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

17- جورج لايكوف، ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 2009

18-دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008

19-فان ديك النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، لبنان، 2000

20-فراسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د- ت).

21-فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان. ترجمة: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار، سوريا، 1992.

22-كولر جوناتان: مدخل إلى النظرية الأدبية، ترجمة: مصطفى بيومي عبد السلام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2003.

23-هربرت باركلي، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ط1، وزارة الثقافة، سلسلة دراسات لغوية.(1)

24-هنريش بليث البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتعليق محمد العمري، أفريقيا الشرق، 1999.

المجلات العلمية

25-محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني، ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة العربية وآدابها، تلمسان، العدد الأول 1994.

26-محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، فصول، العدد 65، خريف 2004، شتاء 2005.

27- التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2011.

الكتب باللغة الأجنبية:

28- jean Dubois et autres dictionnaire de linguistique larousse paris 1973

29- Jean Dubois et autres dictionnaire de linguistique et des sciences du langage 1999

30- A J Greimas et Courtes dictionnaire raisonne de la théoré du langage hachette paris , 1993

-31 Van Dijk Teun A Text and context explorations in the semantics and pragmatics of discourse, Longman, London, and new York 1980.

الهوامش والإحالات:

[1]- التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2011، ص 1 (التقديم)..

[2]- ينظر المرجع نفسه الصفحة نفسها-.

[3]- ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص43 .

[4]- ينظر: تون أ فان ديك، النص بناه ووظائفه، مقدمة أولية لعلم النص، ترجمة: جورج أبوصالح، العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، باريس، العدد46، 1987، ص114.

[5]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005، ص 16.

[6]- ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص43.

[7]- ينظر: ميجان الرويلي، وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2000، ص 102.

[8]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، صص: 22-23.

[9]- ينظر: علي آيت أوشان، النص والسياق الشعري، من البنية إلى القراءة، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2000، ص 56، أخذ عن: Françoise Armengaud ;la pragmatique Que-suis-je, 1985 .

[10]- طه عبد الرحمن، تكامل المعارف، اللسانيات والمنطق، مجلة دراسات سيميائية، لسانية، أدبية، ع2، المغرب، 1987-1988، ص 122.

[11]- ينظر: فان ديك، النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، لبنان، 2000، ص 227.

[12]- ينظر: - هربرت باركلي، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ط1، وزارة الثقافة، سلسلة دراسات لغوية(1) ص، 110.

[13]- بول ريكور، من النص إلى الفعل-أبحاث التأويل-، ترجمة: محمد برادة، حسان بورقيبة، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001، ص132.

[14]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة، صابر الحباشة، مرجع سابق، ص، 110.

[15]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 2004، ص 28.

[16]- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس اللساني العربي القديم، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص 22.

[17]- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد، مرجع سابق، ص103.

[18]- ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، مرجع سابق، ص 19.

[19]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، م، س، ص 28.

[20]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص 22.

[21] ينظر: - jean Dubois et autre dictionnaire de linguistique larousse paris 1973 p388

[22]- ينظر: ميجان الرويلي، وسعد البازعي، دليل الناقد، م، س، ص103.

[23]– المرجع نفسه، ص 103.

[24]– المرجع نفسه، ص 103.

[25]– دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص 102.

[26] – ينظر: Jean Dubois et autres dictionnaire de linguistique et des sciences du langage Larousse ; paris ;1999 :p 375.

[27]– ينظر: – هنريش بليث البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتعليق محمد العمري، أفريقيا الشرق، 1999، ص102.

[28] -A J Greimas et Courtes dictionnaire raisonne de la theore du langage hachette paris ;1993 ; p288

[29]– نصيرة بن عمرة، التوجهات الرئيسية للسيد عبد العزيز بوتفليقة، من خلال خطابه السياسي أثناء الحملة الانتخابية لرئاسيات أفريل 1999، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية الآداب، واللغات قسم علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر 2000، 2001، ص19.

[30]–عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية لغوية، م، س، ص، 28.

[31]– ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، 2005، صص 118، 119.

[32]– ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس اللساني العربي القديم، م، س، ص123، 124.

[33]– ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، م، س، ص19

[34]– ينظر محمد العبد، تعديل القوة الانجازية، م، س، ص 134.

[35]– فراسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د– ت)، ص8.

[36] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص 22.

[37]– المرجع نفسه، ص 28.

[38] – ينظر: المرجع نفسه، ص 24.

[39] – ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

[40]– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 11.

[41]– ينظر: جورج لايكوف، ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 2009، ص 216.

مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، م، س، ص 26[42].

[43]– ينظر: إلرود إيش، وآخرون، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1997،1996 ص37.

[44]– ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص ص 56، 57، 58.

[45] –نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، جدار للكتاب العالمي، عمان الأردن،2009ص 97.

[46] – دومينيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، م، س، ص101

[47]– شكري المبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، ط1، مسكلياني للنشر، تونس، ديسمبر 2008، ص، 17-18. .

[48]– المرجع نفسه، ص 25.

[49]– المرجع نفسه، ص 07.

[50]– المرجع نفسه، ص 128-129.

[51]– فيليب بلانشيه التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، م، س، ص36.

[52] – خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، مرجع سابق، ص 129.

[53] – المرجع نفسه، ص 130.

[54]– ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، م، س، ص 195.

[55]–ينظر: – كولر جوناتان: مدخل إلى النظرية الأدبية، ترجمة : مصطفى بيومي عبد السلام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 135.

[56]– ينظر :فيليب بلانشيه، التدولية من أوستين إلى غوفمان، م، س، ص 197

[57]المرجع نفسه، ص 194.

[58]– ينظر: Van Dijk Teun A Text and context explorations in the semantics and pragmatics of discourse, Longman, London, and new York 1980.

[59]–جاكوبي رسل، نهاية اليوتوبيا، السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة، ترجمة: فاروق عبد القادر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (صفر 1422 – ماي 2001)، ص 107.

[60]–فان ديك النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، لبنان، 2000، ص257.

[61]–علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى السياق، م، س، ص77.

[62]–محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني، ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة العربية وآدابها، تلمسان، العدد الأول 1994ص32.

[63]–محمد عزيز نظمي سالم، قراءات في علم الجمال حول (الاستيطيقا، النظرية والتطبيق) نظريات الإبداع الفني الجزء الخامس مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996، ص26.

[64]–خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، مرجع سابق، ص 132–133.

[65]–الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، م، س، ص1.

[66]–المرجع نفسه، ص 181.

[67]–مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، مرجع سابق، ص 16.